



لتوقف عن قرع طبول الحرب في سوريا، فقد كتبت مقالات عدّة منذ بدايات الأزمة هناك، وكررت فيها أن القوة هي الدبلوماسية الوحيدة التي يفهمها بشار الأسد، ولنجرب المبادرة الروسية الداعية إلى تجريد النظام السوري من أسلحته الكيماوية، في مقابل عدم استهدافه بضربة عسكرية.

ليس فقط لأن لا خيار آخر أمام العرب، طالما أن الغرب متعدد حيال التدخل العسكري الحاسم، وإنما لأنها قد تكون ضمة الدب الروسي الأخيرة لصاحبه، والتي ستقتضي عليه في نهاية المطاف... كيف ذلك؟

يستدعي تجريد النظام السوري من أسلحته الكيماوية بروتوكولاً يحدد مهامات ووكل المفتشين الدوليين وصلاحياتهم، لذلك حاولت فرنسا أن تستتصدره من مجلس الأمن ليقضي بمدة زمنية محددة، وتهديد تحت البند السابع بمعاقبة النظام في حال مماطلته، فرفض الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ذلك، فهو في حال نشوة واعتداد بالنفس بعدما بدأ يسمع المحللين السياسيين يتحدثون عن قوته الباهرة، وسطوع نجمه على حساب أوباما المتردد.

ولكن في النهاية لا بد من بروتوكول ما يحدد آلية تجريد النظام السوري من الكيماوي، وسيكون التفاوض مع روسيا وليس مع النظام السوري، وهنا إشارة مهمة إلى النهاية المحتومة للنظام الذي فقد ظله، وأصبح قرار بقائه في يد أجنبي بعيد، والأجنبي لا يمكن أن يكون وطنياً متحمساً حتى وإن بدا مدافعاً متحمساً.

سوريا الأسد أصبحت من الآن فصاعداً مجرد «طاولة» في الملعب الروسي لتحقيق نتائج لها.

لا بد من أن يقضي البروتوكول بجدول زمني، ثم الاتفاق على تحديد موقع تخزين الأسلحة الكيماوية وألياتها ومصانعها والتفيش عليها، ومن ثم تفكك وتنقل خارج سوريا.

ستقارن الخرائط والمعلومات الروسية وتلك التي سيقدمها النظام بالمعلومات الدقيقة المتوفّرة لدى الأميركيين والفرنسيين، والذين بالطبع سيستعينون بمعلومات الإسرائييليين الدقيقة، فهو لأء أكثر الناس اهتماماً ومتابعة لبرنامج السلاح الكيماوي منذ أن وضع لبنته مع الإيرانيين الراحل حافظ الأسد، وتوسّع فيه ابنه بشار على أساس أنه سلاح الردع والتوازن مع إسرائيل، ولا يزايدين أحد علينا، فلم يبق عند تلك العائلة البائسة ونظمها ردع ولا ممانعة أو مقاومة، فلقد سقطت آخر ورقة توت، بينما كان وزير خارجية النظام وليد المعلم يعلن من موسكو الثلاثاء الماضي بعبارات رتبة أول استسلام للنظام بالتخلي عن

الكيماوي، واستعداده «لكشف موقع أسلحتنا الكيماوية، ووقف إنتاجها، وعرض هذه المنشآت أمام ممثلي عن روسيا وبيلاروس أخرى والأمم المتحدة».

تلك لحظة استدعت مثيلاً لها عام 1998 وفي حياة حافظ الأسد عندما اعترف للأتراك بوجود زعيم حزب العمال الكردستاني عبدالله أوجلان، وأبعده من سوريا بعدها رأى أمامه رتلاً من الدبابات التركية في الجانب التركي من الحدود المجاورة! يعيش هذا النظام بالقوة وبها يفاوض ويتنازل... ثم يموت، وبالتالي فإن كل من يتحدث عن رفض الضربة الأميركية بزعم حرصه على «الجيش العربي السوري» إنما يبحث عن عذر يبرر عدم رغبته في نصرة الثورة السورية وتطلعاتها نحو الحرية. لقد سقط الجيش السوري دوره القومي لحظة وجّه بندقيته نحو شعبه.

بعد مقارنة الخرائط والمعلومات تبدأ عملية التفتیش، فلا أحد يثق بالنظام السوري ولا بحليفه روسيا، وبالتالي لا يعقل أن توافق الولايات المتحدة بقبول «وضع الأسلحة تحت رقابة روسيا الاتحادية».

لا بد من أن تطالب هي وبقية دول العالم الحر، وربما مجلس الأمن بالتخلص التام من الأسلحة الكيماوية ومصانعها وألياتها، ولكن سوريا... كل سوريا في حال حرب، إذاً لا بد من الدعوة لوقف إطلاق النار كي يتسمى للمفتشين الدوليين القيام بعملهم، ولكن وقف إطلاق النار بمثابة انتصار للنظام، فالثورة أصلها سلمية، وستعود إلى سليمتها والتظاهر مطالبة برحيل بشار ومن معه، (وربما يفضلون الآن إعدامه)، وهنا لا بد للروس من أن يُلزموا حليفهم بوقف إطلاق النار، وإلا فستنهار مبادرتهم ويعود الرئيس الأميركي ومن معه من غرب وعرب إلى مرتع الضربة العسكرية.

أريد أن أتفاءل وأقول إن الأطراف الدولية ستضطجع نحو حل سلمي، فالحل العسكري وعلى رغم ترحيب معظم الشعب السوري به ليأسهم من أي إمكان تفاهم مع النظام سيؤدي إلى سفك مزيد من الدماء، ليس بسبب القصف ذاته، وإنما بسبب المعارك بين الثوار والنظام التي ستستعر فور بدء الضربات الدولية، وبالتالي فالأفضل للشعب السوري التوجه إلى جنف للتفاوض على نقل السلطة وتشكيل حكومة انتقالية، ولكن التجربة تقول غير ذلك، فبشار نظام عربي ملأته الكراهية والحمقى، وقرر أن كل من يعارضه إرهابي يستحق الموت، وبالتالي فلا يتوقع أن يبادر إلى حل تفاوضي إلا إذا ضغط عليه الروس بعدما باتوا يملكون قراره، أو يتركونه يواجه المصير الذي يستحقه.

التحول الأهم الذي حصل الأسبوع الماضي هو أن التفاوض بات يجري مع روسيا، ولم تتواضع هذه وتقبل بالتفاوض لإنفاذ حليفها الصغير إلا بعدما رأت الجدية في أعين الأميركيين.

سيتعجل كثيرون ويقولون إن صفقة ما ستعقد بين واشنطن وموسكو لحل الأزمة السورية، ولكن المسافة بعيدة بين بقاء بشار ورحيله، لذلك سيقضي بوتين عليه، إما رضوخاً لضغط المجتمع الدولي، أو لأنه لم يبق شيء يستطيع أن يفعله بعدما استنفذ كل ما عنده من سهام.

الحياة

المصادر: